المصنعة التي تحتكر الدول المتطورة صناعتها ، عن اسعار المواد الخام التي يعتمد دخل الدول النامية على تسويقها ، مظهرا بارزا من هذا الشكل المستحدث للظاهرة الاستعمارية . وكل محاولة من قبل الدول النامية لتأمين اقتصادياتها ضد تحكم السوق الرأسمالية العالمية وتقلباتها ، واستعانة الدول النامية بهياكل لاقتصادها القومي تتوخى وجهة الاشتراكية ، كانت تلقى من قبل الاستعمار مقاومة شرسة تصل الى حد معاودة التدخل العسكري السافر كلما امكن ذلك ، ولو بصور مقنعة تتستر وراء اطراف ودوافع خليقة بخداع الرأي العام الدولي ، وحجب الفاعل الاستعماري الاصلي عنه . وليس من شك في ان الحرب الثالثة في النزاع العربي الاسرائيلي — حرب ١٩٦٧ — لم تكن بعيدة عن مخططات الاستعمار الرامية الى اجهاض التجارب الثورية في البلدان العربية التي سعت الى تأمين اقتصادها القومي ومنطلقاتها السياسية ضد السيطرة الاستعمارية .

ولكن حتى لو نجح الاستعمار في التضييق على الاتجاه نحو الاشتراكية في العالم العربي ، والحد من فعالية انماط التنمية الاقتصادية التي تسترشد بخطوط اشتراكية لتتحلل من التبعية للسوق الرأسمالية العالمية ، فقد تجددت المواجهات في صور اخرى ، حتى داخل اطار هذه السوق ، وكان ابرزها وقت نشوب الحرب الرابعة في النزاع العربي الاسرائيلي ، تصحيح اسعار النفط ، ابرز سلعة يملك العرب تسويقها دوليا .

كان تصحيح اسعار النفط ايذانا بمعركة خطيرة الدلالة ، بعيدة المدى ، لا تقتصر على النفط وحده ، بل تمتد الى تصحيح اسعار المواد الخام الاستراتيجية — عموما — التي تعتمد اقتصاديات الدول النامية على تصديرها . كان طلقة اولى في وضع حد للهوة التي تزداد عمقا بين اسعار هذه المواد الخام الاستراتيجية — النحاس ، البوكسيت ، الخ .. — واسعار المنتجات المصنعة التي يحتكر صنعها الدول المتطورة. وقد مس تصحيح اسعار النفط اقتصاديات العالم الرأسمالي والاستعماري في الصميم . اظهر مدى اعتماد العالم الغربي على النفط العربي ، باعتبار ان النفط هو وحده مصدر الطاقة المتاحة ، الكفيلة بتشغيل صناعة العالم المتقدم ، على الاقل الى حين اكتشاف مصادر بديلة للطاقة ، وليس هذا احتمالا واردا في اي مستقبل قريب . لولا خوض العرب حرب اكتوبر ، لولا انجازاتهم في ساحات القتال ، لما اكتسبت معركة النفط شكلها المكثف البارز ، لما احدثت زلزالا نال من استقرار العالم الغربي برمته ، واكسبت ازمته النقدية ، واتجاهاته التضخمية ، ابعادا عارمة .

لقد عجلت الحرب الرابعة في النزاع العربي الاسرائيلي بالمواجهة حول قضية النفط ، وفجرت أزمة الطاقة ، بينما فشلت محاولة لتصحيح اسعار النحاس قبل نشوب الحرب باسابيع معدودة فقط ، ذلك بعد نجاح المخابرات الاميركية ، في اسقاط نظام الليندي في شيلي . ومنذ نشوب الحرب ، اصبح البحث عن قواعد جديدة تحكم التعامل دوليا بين دول الغرب الصناعية المتطورة ودول العالم النامي قضية مطروحة وواردة ، وصورة بارزة من صور الصراع التي اصبحت تشمل كوكبنا بأسره .

هكذا يتضح ان النزاع العربي الاسرائيلي لم يكن ابدا بمعزل عن صراعات ومواجهات اوسع نطاقا ، ترجع في النهاية الى المواجهة العربية مع الاستعمار العالمي في كل صوره ، لا في صورة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وحدها . ولما اتخذت هذه المواجهة مع الاستعمار اشكالا مختلفة ، ومرت بأطوار مختلفة ، فلا بد